

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

٢١ محرم ١٤٤١ هـ
٢٠ سبتمبر ٢٠١٩ م

(١)

مَظَاهِرُ الْكِبْرِ وَالْأَسْتِعْلَاءِ وَالصَّدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

الحمدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْقَائِلُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: {سَاصْرَفْ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ يَعْيِرُ الْحَقَّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخَذِّدُوْهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَخَذِّدُوْهُ سَبِيلًا} ذَلِكَ يَأْتِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ}، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِّلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وَبَعْدَ:

فَإِنَّ عَاقِبَةَ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَخِيمَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَفْرَادًا كَانُوا أَوْ أَمْمًا ، فَهَلَاكُ الْأُمَمِ وَالْقُرَى الَّتِي عَنَتْ وَاسْتَكْبَرَتْ سُنَّةً مَاضِيَّةً فِي خَلْقِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) ، وَلَنْ تَجِدَ لِسْنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَا تَحْوِيلًا ، يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ : {فَمَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ يَعْيِرُ الْحَقَّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُ مِنَّا قُوَّةً أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا يَأْيَاتِنَا يَجْحَدُونَ *} فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ} ، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ : {وَكَانُوا مِنْ قَرِيبِهِ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرَسُولِهِ فَحَاسِبَنَا هَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبَنَا هَا عَذَابًا تُكْرَأُ *} فَذَاقُتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةً أَمْرِهَا خُسْرًا .

وَالْكِبْرُ هُوَ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَذَلِكَ لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ فَسَجَدُوا ، إِلَّا إِبْلِيسَ؛ قَالَ تَعَالَى : {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}.

(٢)

إِنَّ أَهْلَ الْكِبْرِ يُعْرَفُونَ بِسِيمَاهُمُ الْمَدْمُومَةِ فِي الْآخِرَةِ ، كَمَا كَانُوا يُعْرَفُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، قَالَ تَعَالَى : { وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمِيعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ } ، وَلِذَلِكَ حَذَرَ الْإِسْلَامُ مِنْ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ ، وَجَعَلَهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْبَعْدِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَتَوَعَّدَ أَهْلَهُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، قَالَ تَعَالَى : { إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمَّ الْخَيَاطِ وَكَذَلِكَ تَجْزِي الْمُجْرِمِينَ } ، وَقَالَ تَعَالَى : { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَنْوَى لِلْمُتَكَبِّرِينَ } ، وَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (احْتَجَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : فِي الْجَبَارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فِي ضَعَافَةِ النَّاسِ وَمَسَاكِينِهِمْ ، فَقَضَى اللَّهُ بِيَنِّهِمَا : إِنَّكِ الْجَنَّةَ رَحْمَتِي أَرْحَمُكِ مِنْ أَشَاءُ ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أَعَذِّبُكِ مِنْ أَشَاءُ ، وَلَكِلِيْكُمَا عَلَيَّ مِلْوَهَا) ، وَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (... أَلَا أَخْبِرُكُمْ يَأْهُلُ الْنَّارِ ؟ كُلُّ جَوَاطٍ ... مُتَكَبِّرٌ) .

لَا جَرَمَ أَنَّ الْكِبْرَ حُلُقٌ يَسْكُنُ الْقَلْبَ الْمَرِيضَ ، فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ رَثًّا الْحَالِ قَلِيلًا الْمَتَاعِ وَهُوَ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ، وَقَدْ يَكُونُ غَيْرًا قَدْ بُسْطَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَهُوَ مِنْ أَهْلِ التَّوَاضُعِ وَالِإِخْبَاتِ ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْقَالٌ دَرَرَةٌ مِنْ كِبْرٍ) فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبَهُ حَسَنَةً ، وَتَعْلُمُهُ حَسَنَةً ، فَقَالَ : (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ : بَطْرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ) ، وَهُوَ مِنْ أَخْطَرِ الْأَمْرَاضِ النُّفْسِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تُحَطِّمُ النَّفْسَ وَتَهْدِمُ الْمُجَتمَعَ ، وَصَاحِبُهُ مَخْدُوعٌ فِي نَفْسِهِ يَسْتَعْلِي بِهَا عَلَى غَيْرِهِ ، قَالَ تَعَالَى : { إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِالْغَيْرِ } .

(٣)

وَمَعَ أَنَّ الْكِبَرَ يَسْكُنُ الْقَلْبَ ، إِلَّا أَنَّ لَهُ مَظَاهِرٌ تَبُدُّ فِي السُّلُوكِ وَالْمُعَامَلَةِ . **مِنْهَا:**
الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، وَعَدَمُ الْخُضُوعِ لِلْحَقِّ ، قَالَ تَعَالَى : {.... وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَنَّ اللَّهَ أَخْدَثَهُ
الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ} ، فَالْمُتَكَبِّرُ يَنْدِفعُ بِعُرُورَهِ الْمَذْمُومِ وَاسْتِكْبَارُهُ الْمَقِيتُ لِرَفْضِ الْحَقِّ ، وَلَا
تَرِيدُهُ دَعْوَتُهُ إِلَى الْحَقِّ إِلَّا غُرُورًا وَاسْتِكْبَارًا ، فَيُوَرِّدُ نَفْسَهُ مَوْرِدَ الْهَلاَكِ ، قَالَ تَعَالَى :
{فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمَهَادُ} ، وَهُنَاكَ مَنْ يَتَكَبَّرُ عَلَى أَمْرِهِ (صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ،
فَيُلْقَى جَزَاءَ تَكْبِرِهِ وَعِنَادِهِ ، فَعَنِ إِيَّاسٍ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، أَنَّ أَبَاهُ
حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِشِمَالِهِ ، فَقَالَ (صَلَى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كُلْ بِيَمِينِكَ) ، قَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ ، قَالَ (صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا
اسْتَطَعْتَ) ، مَا مَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ ، قَالَ : فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ) .

وَمِنْهَا: تَصْعِيرُ الْوَجْهِ: وَيَعْنِي: الْإِشَاحَةُ بِالْوَجْهِ عَنِ النَّظَرِ كُبْرًا ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُ عَلَى لِسَانِ لُقْمَانَ يَقُولُهُ لِوَلَدِهِ: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} .

وَمِنْهَا: الْأَخْتِيَالُ فِي الْمَشَيِّ: وَيَعْنِي: التَّسْخِيرُ وَالتَّعَالِيُّ فِي الْمِشَيِّ ، قَالَ تَعَالَى :
{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلَّ ذَلِكَ
كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} .

وَمِنْهَا: الْأَخْتِيَالُ بِالْمَتَاعِ وَبِنِعَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ (صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (خَرَجَ
رَجُلٌ مِّمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فِي حُلَّةٍ لَهُ يَخْتَالُ فِيهَا، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَأَخْدَثَهُ ، فَهُوَ
يَتَحَلَّلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ، وَكَمَا يَكُونُ الْأَخْتِيَالُ بِالثَّيَابِ يَكُونُ كَذِلِكَ يُفْرُشِ

(٤)

الْبُيُوت ، وَبِرْكُوبِ السَّيَّارَات ، وَامْتِلاكِ الْقُصُورِ عَلَى جَهَةِ الْمُبَاهاَة ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

وَمِنْهَا: التَّرَثُقُ عَنْ مُجَالَسَةِ الْفَقَرَاءِ وَالضَّعَافِ احْتِقَارًا لَهُمْ ، كَمَا تَرَفَعَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ مُجَالَسَةِ فُقَرَاءِ الصَّحَابَة ، سَلْمَانَ وَصَهْيَبَ وَبَلَالَ وَنَحْوِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، حَيْثُ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): اطْرُدُهُؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِيُونَ عَلَيْنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} ، وَمِنْ صُورِ التَّرَفُعِ عَنِ النَّاسِ كَذَلِكَ: قَصْرُ الدَّعْوَةِ عِنْدَ الْوَلَائِمِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ دُونَ الْفَقَرَاءِ اسْتِصْغَارًا لِشَأنِهِمْ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): "شُرُ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ ، يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ ، وَيُتَرَكُ الْمَسَاكِينُ..." .

كَذَلِكَ مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ: التَّرَثُقُ عَنِ إِلْتَقَاءِ السَّلَامِ أَوْ مُصَافَحةً مِنْهُ هُوَ أَدْنَى مِنْهُ مَنْزِلَةً احْتِقَارًا لَهُ ، وَقَدْ كَانَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَبْدُأُ بِالسَّلَامِ الصَّغِيرَ وَالْكِبِيرَ ، فَفِي الْحَدِيثِ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَرَّ عَلَى غُلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ).

وَمِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ: الْلَّدُدُ فِي الْخُصُومَةِ ، وَالْفَجُورُ فِيهَا ، وَلَا خِلَافٌ فِي أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الْمُسْلِمِ هَجْرُ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَوْقَ تَلَاثٍ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّقَاطُعِ وَالْإِيْدَاءِ وَالْفَسَادِ ، وَتُبُوتُ الْوَعِيدِ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ، قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ تَلَاثٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ، إِلَّا أَنْ يَتَدارَكَهُ اللَّهُ يَكْرَامِتِهِ) ، وَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ تَلَاثٍ لَيَالٍ ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعِرِضُ هَذَا وَيُعِرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدُأُ بِالسَّلَامِ) ، وَيَقُولُ نَبِيُّنَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ

(٥)

كَانَ مُنَافِقًا حَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ الْفَاقِحَ حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا أُوتُّمِنَ حَانَ ، وَإِذَا حَدَثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا حَاصَمَ فَجَرَ .

وَنَقْدٌ كَانَ الْكِبْرُ وَالاسْتِغْلَاءُ سَبَبًا فِي امْتِنَاعٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ ، وَعَنْ قَوْلٍ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ؛ قَالَ تَعَالَى : {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} ، فَكَانُوا يَأْنَفُونَ أَنْ يَتَبَعُوا غَيْرَ دِينِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَبِسَبَبِ الْكِبْرِ تَرَكَ الْيَهُودُ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رُغْمَ تَيَقْنُثُمْ مِنْ صَدْقَهِ فِي نُبُوَّتِهِ ، قَالَ تَعَالَى : {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ، وَهُوَ كَذِيلُ الدِّيْنِ حَمَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى تَكْذِيبِ أَبْنِيَائِهِمْ وَقَتْلِهِمْ بَعْضَهُمْ ، قَالَ تَعَالَى : {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرُونَمْ فَفَرِيقًا كَذَبُتُمْ وَفَرِيقًا قَتَلُونَ} .

إِنَّ الْكِبْرَ سَبَبٌ فِي كُفْرٍ وَتَكْذِيبٍ الْمُكَذَّبِينَ فِي الْأُمَمِ السَّاِيَقَةِ ، قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نُوحٍ : {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَعْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشُوا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوْا وَاسْتَكْبِرُوْا اسْتِكْبَارًا} ، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْمٍ هُودٍ (عَلِيهِ السَّلَامُ) : {فَأَمَّا مَا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوْا فِي الْأَرْضِ يَعْيِرُ الْحَقَّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُ مِنَّا قُوَّةً} ، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْمٍ صَالِحٍ : {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبِرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} ، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْمٍ شُعَيْبٍ : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتَنَا) ، وَهَكَذَا كَانَتْ

(٦)

عَاقِبَةُ كُلِّ أُمَّةٍ اسْتَكْبَرَتْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى الْهَلاَكَ وَالْبَوَارَ، فَبَيْسَتِ الْعَاقِبَةُ وَبَيْسَتِ
الْمَصِيرُ.

إِنَّ سَبِيلَ الدَّوَاءِ لِمَنِ ابْتَلَى يَهَدَا الدَّاءَ الْعُضَالِ أَنْ يُعالِجَ قَلْبَهُ ، بَأَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ
نَفْسِهِ، فَيَنْظُرُ فِي أَصْلِ وُجُودِهِ بَعْدَ الْعَدَمِ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ، ثُمَّ
مِنْ مُضْعَةٍ ، ثُمَّ كَيْفَ صَارَ شَيْئًا مَذْكُورًا بَعْدَ أَنْ كَانَ عَدَمًا ، وَلَيَعْلَمَ الْعَبْدُ الْمُتَكَبِّرُ أَنَّهُ
يُعَاقَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَقْيَضِ قَصْدِهِ ، فَمَنْ قَصَدَ التَّعَالَى وَالتَّبَاهِي عَلَى خَلْقِ اللَّهِ حُشْرَ
أَذْلَّهُمْ وَأَنْقَصَهُمْ ، قَالَ (صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْتَالَ
الَّذِي فِي صُورِ الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الدُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ...) ، وَقَالَ تَعَالَى: {تَلْكَ الدَّارُ
الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْبِينَ} .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهُدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَاحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

إِخْوَةُ الْإِسْلَامِ:

إِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ الصَّدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) تَنَاقُضَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَادْعَاءَ
الْمِتَالِيَّةِ وَالْمُسَالَمَةِ مِمَّنْ يُرْكِزُونَ عَلَى الشَّكْلِ وَالْمَظَهَرِ، وَيُعْطُونَ الْمَظَهَرَ الشَّكْلِيَّ
الْأُولَوِيَّةَ الْمُطْلَقَةَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى حِسابِ الْلُّبَابِ وَالْجَوَهَرِ ، حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ
صَاحِبُ هَذَا الْمَظَهَرِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْإِنْسَانِيِّ وَالْأَخْلَاقِيِّ الَّذِي يَجْعَلُ مِنْهُ الْقُدْوَةَ
وَالْمَثَلَ ؛ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْمَظَهَرِ الشَّكْلِيِّ الَّذِي لَا يَكُونُ سُلُوكُهُ مُتَسِقًا مَعَ تَعَالِيمِ

(٧)

الإِسْلَام يُعَدُّ أَحَدَ أَهْمَّ مَعَالِيمِ الْهَدْمِ وَالتَّنْفِيرِ وَالصَّدِّ عَنْ دِينِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَأَمْثَالُ هُولَاءِ هُمْ مَنْ يَصُدُّقُ فِيهِمْ قَوْلُ النَّبِيِّ (صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِينَ .

فَإِذَا كَانَ الْمَظْهَرُ مَظْهَرُ الْمُتَدَيَّنِينَ مَعَ مَا يُصَاحِبُهُ مِنْ سُوءِ الْمُعَامَلَاتِ، أَوِ الْكَذِبِ، أَوِ الْغَدَرِ، أَوِ الْخِيَانَةِ، أَوِ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ هُنَّا جِدُّ خَطِيرٍ، بَلْ إِنَّ صَاحِبَهُ يَسْلُكُ فِي عِدَادِ الْمُنَافِقِينَ، كَمَا هُوَ حَالُ الْجَمَاعَاتِ الْمَارِقَةِ الْمُتَاجِرَةِ يَدِينِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ كَوْنِهَا أَكْبَرَ حَاضِنِ الْإِرْهَابِ، وَأَعْظَمَ دَاعِمِيهِ، سَعْيًا مِنَ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا إِلَى إِفْشَالِ الدُّولَ وَإِصْعَافِهَا بِمَا يُسَهِّلُ لَهُمْ - فِي زَعْمِهِمْ - الْوُصُولَ إِلَى السُّلْطَةِ يَهْدِهِ الدُّولَ، مُتَخَذِّدِينَ لِذَلِكَ كُلَّ سَبِيلٍ، مُسْتَبِّحِينَ كُلَّ وَسِيلَةً.

وَكَذَلِكَ مَنْ يَحْصُرُ التَّدَيْنَ فِي بَابِ الْعِبَادَاتِ وَالْاجْتِهَادِ فِيهَا مَعَ سُوءِ الْفَهْمِ لِلَّدَيْنِ، وَالْإِسْرَافِ فِي التَّكْفِيرِ وَحَمْلِ السَّلاحِ وَالْخُروْجِ عَلَى النَّاسِ بِهِ، كَمَا حَدَثَ مِنَ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ صَلَةً وَصَيَاماً، وَقِياماً، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ الْكَافِيِّ الَّذِي يَحْجِرُهُمْ عَنِ الْخَوْضِ فِي الدَّمَاءِ، فَخَرَجُوا عَلَى النَّاسِ يُسْيِوفُهُمْ، وَلَوْ طَلَبُوا الْعِلْمَ لَحَجَرُهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَالإِسْلَامُ دِينُ الرَّحْمَةِ يَكُلُّ مَعَانِيهَا، وَكُلُّ مَا يُبَدِّلُكَ عَنِ الرَّحْمَةِ يُبَدِّلُكَ عَنِ الإِسْلَامِ، وَالْعِبْرَةُ بِالسُّلُوكِ السُّوِيِّ لَا بِمُجَرَّدِ القَوْلِ، وَقَدْ قَالُوا : حَالُ رَجُلٍ فِي أَلْفٍ خَيْرٌ مِنْ كَلَامِ أَلْفٍ لِرَجُلٍ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَصْرَأَمَاتَا سَخَاءَ رَحَاءَ، وَاحْفَظْهَا وَأَهْلَهَا وَجِيشَهَا وَشُرْطَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَكْرُوهٍ، وَتَبَّتْ أَبْنَاءُنَا الْمَرَابِطِينَ عَلَى حُدُودِنَا، وَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَى قُلُوبِهِمْ يَارَبَّ الْعَالَمِينَ .